كتاب الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأصول

تأليف

الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي
يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن
إسماعيل بن إبراهيم بن الإمام الحسن بن
الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب
عليهم السلام
(٢٧٨- ٣١٠هـ)

تحقيق

عبد الله بن حمود العزي

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

تم الصف والإخراج والتحقيق

بمركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق

الجمهورية اليمنية، صعدة، ت: ٥١٤٠٠٦ ٩٦٧٧ ، ص.ب. ٩٠١٦٨

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٤٣٦٨٤، عمّان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف/فاكس: ٥٣٤٨١٢٨ ٩٦٢٦

P.O.Box 10754, McLean, VA 22102, USA

Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، **وبعد:**

كثيرة هي الآيات التي عالجت مواضيع العقيدة الإسلامية وأصول الدين الأساسية، ولو قارنّاها بآيات الأحكام الشرعية لوجدناها تفوقها عدداً، إذ أن آيات الأحكام الشرعية لم يزد عددها على خمسمائة آية قرآنية، وهي مترتبة على آيات المعرفة، فلا يمكن أن يكون العمل بها صحيحاً مقبولاً إلا إذا كانت المعرفة صحيحة مقبولة، ومن أهم وسائل معرفة مسائل الأصول هو إعمال العقول، وإجاله الأفكار فيما أودعه الله تعالى في الكون، من النفوس البشرية المختلفة وأجناسها المتعددة، والسماوات العلوية والسفلية المرتفعة، والطبقات الأرضية المنتظمة، والرواسي القوية الثابتة، وما أودعه الله في بواطنها من المعادن الثمينة والركائز العظيمة، وما أنبته الله تعالى من الأشجار المتفاوتة والأشكال

المتعددة، والثمار اليانعة والفواكه اللذيذة، وما جعله من الأبحار العميقة الواسعة، والأنهار الجارية العذبة، والحيوانات الكثيرة العجيبة.

التوحيد:

وجميعها تدل دلالة واضحة على موجد أوجدها، وخالق خلقها بقدرة عظيمة، وحكمة عجيبة، تؤكد في النفوس طاعته، وتبعث في القلوب خوفه وخشيته، وبهذا نطق القرآن قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠ــ١٩١].

وحث جل شأنه على اعمال الفكر وإجالة النظر في ملكوته فقال عز شأنه: ﴿ **أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] .

فلو نظروا بعين البصيرة لأقروا بالألوهية، واعترفوا بالوحدانية، ودعا جل ذكره إلى التأمل في سر وحدة وجوده ونظام كونه فقال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ **وَمَا**

كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] .

وفي آيــة أخــرى أثنى على الملائكة والعلماء لشهادتهم بالوحدانية، واقــرارهم بالعدالة الربّانية، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨].

ونفــى الكيف والأين والبين فقال جل ذكره: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ونفى نفياً قاطعاً الإدارك بالعين فقــال تعــالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] ﴿ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] .

ومــن الحسرة والخسران أن تأتي المجسمة والمشبهة وتنسبه إلى الجهة والمكان، وتصفه بأوصاف أخرى يخجل القلم عن تسطيرها، ويعافها كل من يسمعها من ذوي الأذواق السليمة والطبائع المستقيمة، مع أن آيات الله تعالى المحكمة جلية واضحة، تنفي النقص وتثبت الكمال لذي العزة والجلال.

وقــد أكــد تعالى على ضرورة ارجاع متشابه الكتاب إلى محكمه، وفــرعه إلى أصله، ليبين الحق واليقين من الباطل والتخمين ومن لم يعمل بذلك فهو من الخاسرين الذين جعلوا القرآن عضين، فوصفهم الله تعالى

بالزائغين الساعين إلى ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل حسب ما يهوون ووفق ما يريدون، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧].

فما ورد من آيات يوحي ظاهرها بما ينافي محكمها وجب تأويلها وردها إلى أصلها، ولا يستطيع على ذلك إلا أهل العقول والعلم، ولا يقوى عليه إلا أهل الإختصاص والفهم.

العدل:

أما عدل الله وحكمته فكيف يمكن الإحاطة والتبيين وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، بعث الأنبياء وأرسل المرسلين، فأتم بهم النعمة وأكمل الحجة، أيدهم بالمعجزات، وزودهم بالدلالات، وأنزل عليهم الآيات لإيضاح شرائعه وإبانه أحكامه، فأوضحوها بأوضح بيان، وبلغوها بلا زيادة أو نقصان، فمن آمن بهم رشد وبالخير سعد، ومن كفر بهم طرد وفي الضلال ردد، قال تعالى مذكراً بحكمته، وذاكراً طرفاً من عدله ورحمته:﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا**﴾ [الإسراء:١٥].

ومن صور عدل الله أن لا يعذب أحداً إلا بذنبه، قال جل ذكره:﴿**وَلاَ**

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء:١٥] ولا يجازي أحداً إلا بعمله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ لأنه جعله مختاراً، أمره تخييراً ونهاه تحذيراً .

الرد على القدرية والمجبرة والمرجئة

وكيف يأتي قدري متقول، أو مجبري متحيل، أومرجئ متخيل، ويقول أن العدل الحكيم قد جعل العبد مجبراً وقضى عليها بأفعاله قسراً، وأوقعه في المعاصي والفساد قضاءً وقدراً.

مع أن الله تعالى قد نفى ذلك في آيات الكتاب، وأرسل رسَله وبث دعاته للأمر بالخير والرشاد، والنهي عن الفحشاء والفساد، ثم لماذا ينزهوا أنفسهم عن نسبة ذلك إليهم ويرضوا بنسبته لخالقهم، ولكنها الأهواء عمت فأعمت، والتقاليد العمياء صمت فأغوت.

اتبعوا إبليس وكانوا من جنوده إذ قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩] وهو لم يغويه إنما دعاه إلى ما ينجيه، وخاصموا الرحمن، وشهدوا الزور، وقالوا البهتان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ [الأعراف:٢٨] .

القرآن:

ومن لوازم الإيمان العمل بآيات القرآن وسنة ولد عدنان صلى الله

عليه وآله وسلم، والقرآن هو كلام الله تعالى: ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] وهو الذكر الحكيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

وقد كان المشركون والمنافقون يسمعونه ولكنهم أعرضوا عنه قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء:٥] فمن آمن به وعمل بما فيه فهو إن شاء الله من الناجين.

الملائكة والرسل وأهل البيت عليهم السلام

ومن لوازم الإيمان أيضاً الإيمان بالملائكة والرسل والنبيين عليهم السلام والولاء لأهل ولايته من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عترة خاتم الرسل وأفضل البشر صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جعلها الله لهم وحكم بها فيهم، فمن جمع شروطها واستقصى بنودها، فهو لها مثل ولإقامته أهل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] وقال تعالى: ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الأحزاب:٢٣] ، وفي السنة النبوية

ما لا نستطيع إيراده من الفضائل التي لا تحصى والمناقب التي لا تخفى .

ولهم فضائل لست أحصي عدها**من رام عد الشهب لم تتعـــدد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة لازمة على الأمة المسلمة، أمـــر بها القرآن والسنة وطبقتها العترة الطاهرة على مدار الأزمنة، قال تعـــالى: ﴿ **وَلْـــتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَـــنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٤] وله شروط معروفة ومراتب مخصوصة أعلاها اليد والسنان بعد النصح والبيان باللين والإحسان، وأوسطها القول باللسان، وأدناها البغض بالجنان.

الوعد:

فمن دان بهذه الأصول المذكورة، فقد اعتقد حقاً وقال صدقاً، ومهما كان كذلك والتزم أحسن المسالك و لم يخرج عن طريق الصواب، ووقف عـــند نصوص السنة والكتاب، فهو موعود بالجنة مفتحة الأبواب، كما ذكر ذلك العزيز الوهاب، كثيرة أنهارها، عظيمة خيراتها، جميلة سررها، كواعـــب أتـــرابها، قال تعالى:﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَـــأْسٍ مِـــنْ مَعِـــينٍ لا يُصَـــدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنـــزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ**﴾ [الواقعة:١٤ــ٢٠] .

الوعيد:

ومـــن لم يعتقد بهذه الأصول فقد خسر وخاب، ووعيده النار وبئس المئاب، خالداً فها مخلداً لا يخرج أبداً ﴿ **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَـــيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُـــمْ قِطَعًـــا مِـــنْ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس:٢٧] .

ومـــن قال بالخروج فقد قلد اليهود إذ قالوا: ﴿ **لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًـــا مَعْـــدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٨٠] .

الشفاعة:

والشـــفاعة للمؤمنين زيادة في التعظيم، وإكمالاً للتكريم، قال تعالى: ﴿**مَـــا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ**﴾ [غافر:١٨]وليست لأهل الكبائر عـــلى الإطلاق، إلا من تاب وأناب، ومن قال بخلاف ذلك فقد خسر وخاب، وخالف نصوص الكتاب إذ يقول تعالى: ﴿ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ [النساء:٣١] .

هذا الكتاب:

ونظـــراً لأهميـــة هذه الأصول التي لا ينكرها إلا جاحد جهول، أو مـــتفيقه مخذول، فقد عمل أهل بيت الرسول عليهم الصلاة والسلام على

الإهتمام بها، فكشفوا مشكلها، وأبانوا مجملها، وقاوموا كل من خالفها من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة والملحدين، وأجابوا على مشبِّهة هذه الأمة ومجسمتها ومجبرتها وقدريتها ومرجئتها وخوارجها وروافضها ونواصبها، وأجابوا على كل شبهة أوردوها، أومشكلة أثاروها، بأجوبة قوية وحجج سوية، وبينوا كل مسألة بأدلة عقلية ونقول نقلية من الكتاب والسنة النبوية، وأصبحت كل ادعاءاتهم ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** ﴾[النور:٣٩] . وما هذه الرسالة التي بين يديك الكريمتين إلا أحد النماذج الشاهدة والأدلة الصادقة، مؤلفها من صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، فارس فرسان هذا الميدان، وبطل أبطال مسائل العرفان، من لم يماثل في علمه، أو يدانى في ورعه وفهمه. وهو الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم سلام الله ورحمته وبركاته، وقد ناقش فيها جميع الأصول الأساسية، ودلل عليها بأدلة نقليه وأخرى عقلية.

وفي الأخير: أسأل العلي القدير أن ينفعنا بها، ويوفقنا إلى ما فيه الخير والتيسير، ويجنبنا كل عسير، ويجعل أعمالنا خالصة، ونياتنا صادقة.

ترجمة المؤلف

نسبه:

هـــو الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم سلام الله ورحمته وبركاته:

سلســـلة مـــن ذهـــب ... مـــنوطة بالشـــهب
ونســـبة تـــرددت ... بـــين وصـــي ونـــبي
ســـبحان مـــن طهـــرها ... مـــن شـــائبات النســـب[1]

نشأته ومولده:

ولد عليه السلام سنة٢٧٨هـــ ونشأ في ظل أسرة علوية كريمة، تحب العـــلم، وتشـــغف مكارم الأخلاق، وترعرع في ظل بيت يملؤه الإيمان، والعلم، والعرفان.

---

(١) هذه الأبيات لسماحة السيد العلامة الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله، وقـــد جعلها ضمن تقريظ لسماحة السيد العلامة الولي القاسم بن أحمد المهدي حفظه الله، وذلك على كتابه (الزهر الوردي).

نشأ والفضائل تكتنفه من كل الجوانب، والشمائل تتجاذبه إلى علياء المراتب.

والـــده إمام الأئمة، وقائد الأمة، الإمام الهادي لدين الله القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، من أحيا الله به الدين وأقام به شريعة سيد المرسلين، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، ومحيي الفرائض والسنن، ووالدتـــه الشـــريفة الفاضلة فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، المؤمـــنة الصابرة، وشقيقه الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي العالم النحرير، والفقيه الشهير، الورع، الزاهد، الشجاع، المجاهد.

وجـــده الحافظ الكبير، الورع، الزاهد، الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم، وعمه الحافظ النحرير، والزاهد الكبير، عبدالله بن الحسين .

ففـــي ظل هذا البيت الرفيع النسب العالي الرتب نشأ، وفي أحضانه ترعرع ونما. وكانت نشأته نشأة فتى يحس بدماء النبوة تجري في عروقه، ويشـــاهد في البيت القاسمي أنصع صور الطهر والفضيلة، وأرقى مراتب الزهد والعبادة.

ولا تقـــع عينه في ذلك البيت العلوي إلا على إمام شهير، أو محدث كبير، أو عالم نحرير، فلا غرابة أن ينشأ متحلياً بأنبل الصفات، وأشرف الأخلاق، والمعدن من أصله لا يستغرب.

وقـــد تلقى علومه على يد والده وأعمامه، و لم يبق من فنونها فن إلا طار في أرجائه، وسبح في أثنائه، ومؤلفاته تدل على طول باعه، وغزارة علمه ومعارفه.

وأمـــا ورعـــه وزهده: فلقد عرف بجبريل أهل الأرض، نظراً لكثرة اخـــباته، وشدة ورعه وعباداته وخوفه وخشيته في كل أوقاته ، كيف لا وهـــو سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة، فهو القائل عندما بويع بالإمامة وأجـــبر عـــلى الزعامة، ضارباً موقفاً فريداً بين مواقف حكام المسلمين قاطـــبة: (فـــلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق، ويأمر بالمعروف، ويـــرغب في الجهاد، ويختار رضاء الله على رضاء المخلوقين إلا القليل، اخـــترت الباقي الدائم على الفاني الزائل، وأيقنت أن السلامة في الزهد والإشتغال بعبادة رب العالمين، والإعتزال عن جميع المخلوقين، وكنت في ذلـــك كما قال الله تعالى: ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ**﴾ [الذاريات: ٥٤] [(١)].

شجاعته وجهاده:

وكان شجاعاً، بطلاً ، مغواراً، مجاهداً في سبيل الله، لا يخاف في الله لومـــة لائم أو سطوة ظالم، همه إقامة الدين، ومكافحة المفسدين، وهو

---

(١) أئمة اليمن :١/٧٥.

القـــائد الأول لقوافـــل الجهاد مع أبيه ، والضارب في سبيل رب العباد، وكان لأبيه كما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم ، قاد معارك عديدة ضد القرامطة المعتدين، الذيـــن هـــتكوا المحارم، ونشروا المآثم، فألحقهم خسائر كبيرة، وهزائم كثيرة.

قـــال الشهيد حميد المحلي: (وكانت له عليه السلام المقامات المحمودة والمواقـــف المشهودة بين يدي أبيه الهادي إلى الحق عليه السلام ، وكان قطب رحى الحرب إذا دارت.

وكـــم مقام هائل قد قامـــه لو قامه الفيل لسار القهقرى)[1].

شعـــره:

أثبت له المؤرخ العلامة علي محمد العلوي مؤلف سيرة الإمام الهادي عليه السلام خمسة وعشرين قطعة شعرية من القصائد التي قالها في سجنه بعد موقعة إتْوه[2] .

ومنها ما كتبه إلى أبيه:

---

(١) الحدائق الوردية: ٤٢/٢ــ خ ــ.

(٢) إتوه : بلدة حميرية في بلاد أرحب من بلاد عيال أبو الخير، كما في بلدان اليمن وقبائلها: ٥٦/١ .

أمـــير المؤمـــنين تعـــزّ عـــني ... ولا تحفـــل بـــبعدي واغـــترابي
وهـــبني كنت في القتلى صريعاً ... بأطـــراف الأســـنة والحـــراب
وقـــم لله مجـــتهداً مجـــداً ... ومثـــلك لا يُعـــلّم بالصـــواب
قـــليل في المهـــيمن أخذ مثلي ... وقـــل لأمـــره ضرب الرقاب
فـــلا تـــر أنـــني أصبحت يوماً ... كميـــداً ، لا ولا رخو النضاب
رضـــيت بمحـــنتي في الله ربي ... لكـــي أنجـــو بتلك من العقاب
فلا تخضع لأهل الفسق وانصب ... رمـــاح الخـــط واجعلها جوابي

وقال أيضاً في أخرى:

ألم تـــر أنـــني في الحـــبس ثاو ... كئيـــباً في الحديـــد قريـــر عين
لمعـــــرفتي بفـــــرض الله ربي ... ومخرجـــنا لأحـــد الحســـنيين
فـــإن يك ما امتحنت به قبيحاً ... فعيـــبوا مثل ذاك على الحسين
وفي أُحـــد عـــلي جدّي فعيبوا ... هزيمـــته وقـــتل العســـكرين
وحمـــزة عـــنفوه بـــذاك قبلي ... شـــهيد الســـفح بعـــد البيعتين
ولـــو ثـــبت المهـــند في يميـــني ... لـــدى الهيجاء والرمح الرديني
لـــزاح عـــلى أبي إسحاق ناع ... ونيـــح عـــليه بـــين الـــربوتين

وقال أيضاً في أخرى واصفاً أسره وصبره:

ولكـــنني باسلت في حومة الوغى ... لطاعـــة ربي ثم قصّـــر بي مهـــري
ولـــو ثـــبت الميـــدان بيني وبينهم ... لغـــادرهم رمحي وأوداجهم تجري
وقـــد عـــرفوني قبـــلها، ولو أنهم ... مئتين من الفرسان تربوا على العشر
وكيف يراني النكس أرضى بتركهم ... وما كنت في حال أوليهم ظهري!
ونحـــن أنـــاس لم يـــزل في قديمنا ... بـــناة المعـــالي حائزين على القدر
ومـــا الصبر مما فات كفى اكتسابه ... ولكن مني الصبر يعجب من صبري

إمامته وصور مشرقة من عدله:

بعـــد وفاة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام عظم الخطب على المسلمين، فاجتمعوا حول المرتضى، وأجهشوا بالبكاء، فراقاً للإمام الهادي عليه السلام، فلما سكتوا قال الإمام المرتضى عليه السلام: (جـــزاكم الله من أهل محبة وولاية خيراً، ونعم الإمام كان لكم الهادي رضـــي الله عـــنه الناصح لكم، الحدب عليكم، كان والله حريصاً على إرشادكم، طالباً لصلاحكم، مؤثراً لكم، حاملاً لكم على مافيه نجاتكم، داعياً لكم إلى ما يقربكم إلى الله، زاجراً لكم عما يبعدكم منه، حاكماً فيكم بالعدل والقسط، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا عذل عاذل، على

مـــثله فيكثر البكاء والأحزان، والندم والحسرة والأشجان، ولكن المرجع إلى الله عز وجل في جميع الأحوال، والعمل بالتوبة والدعاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم، ولنا ولكم فيما نـــزل بنا من الأمر العظيم، وحل بساحتنا من الفادح الجسيم، أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالأئمة الماضين من عترته صلوات الله عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضاء بقضائه، وتسليماً لأمره، والموت سبيل الأولين، وطريق الآخرين، وبذلـــك حكم عباده رب العالمين، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو تبارك وتعالى خير الوارثين، ثم بكا بكاءً شديداً وأنشأ يقول:

يهـــون ما ألقى من الوجد أنني مجاوره في قبره اليوم أو غدا[1]

وأصـــر الناس بشتى طبقاتهم على بيعته، فقبلها منهم، وكان ذلك في شهر محرم سنة٢٩٩هـــ.

وكـــان همه إعلاء كلمة الله، والقضاء على أعدائه، فلما تحقق ذلك بالقضاء على القرامطة المفسدين، قرر أن يقدم استقالته عن الولاية، لأنه عـــاب على أصحابه أشياء يكرهها، فعزم على التخلي عن الأمر، وجمع

---

(١) الحدائق الوردية: ٢/٤٣ـــ خ ـــ .

وجوه العشائر في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة نفسها التي تولى فيها، وألقى فيهم خطبة عظيمة، ضارباً نموذجاً فريداً بين حكام العرب والمسلمين، نقتطف بعضاً منها قال عليه السلام: (إنكم معاشر المسلمين أقبلتم إليَّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه، وأوردتموني على قبول بيعتكم، فامتنعت مما سألتموني، ودافعت و لم أوئيسكم من إجابتكم إلى ماطلبتم مني، خوفاً من إستيلاء القرمطي على بلادكم، وتعرضه للضفعاء والأيتام والأرامل منكم، فأجريت أموركم على ما كان الهادي يجريها، و لم أتلبس بشيء من عرض دنياكم، و لم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم، فلما أخزى الله " القرمطي" (وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً) تدبرت أمري وأمركم، ونظرت فيما أتعرضه من أخلاقكم، فوجدت أموركم تجري على غير سننها، وألفيتكم تميلون إلى الباطل، وتنفرون عن الحق، وتستخفّون بأهل الصلاح والخير والدين والورع منكم، لا تتناهون عن منكر تفعلونه، ولا تستحون من قبيح تأتونه وذنب عظيم ترتكبونه، ولا تتعظون بوعظ الواعظين، ولا تقبلون نصح الناصحين) .. إلى أن قال: (فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق، ويأمر بالمعروف، ويرغب في الجهاد، ويختار رضاء الله على رضاء المخلوقين إلا القليل، اخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل، وأيقنت أن

السلامة في الزهد والإشتغال بعبادة رب العالمين، والإعتزال عن جميع المخلوقين، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات:٥٤].

أمثلي يدخل في الأمور الملتبسه، هيهات .. هيهات، منع ذلك خوف الرحمن، وتلاوة القرآن، والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها، وتخدعه بزينتها، واتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا على الحق والمحقين، وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم ميتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون، وبما كتبت أيديكم مرتهنون، وما الله بظلام للعبيد ، والسلام على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وآثر طاعة الله)[1] .

هذا نموذج من نماذج حكام أهل بيت النبوة، ومحط الرسالة، وكان همهم الأكبر إقامة الحق، والحكم بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن العجيب وما عشت أراك الدهر عجباً أن يأتي من يدعي العلم من أرباع المتعلمين، وأنصاف المثقفين فيقول: إن عصر أئمة الهدى هو

---

(١) الحدائق الوردية: ٢/٤٥ــ٤٦ ــ خ ــ ، أئمة اليمن: ١/٧٥، تاريخ اليمن الفكري:١/ ١٤٤ .

عصر الظلم والردى .. يا سبحان الله أيكون الحاكمون بالكتاب والسنة من الظالمين؟!! أيكون من كانت هذه كلماتهم لرعاياهم من المستبدين؟!! من قال ذلك فقد قال زوراً، وارتكب بهتاناً، واكتسب إثماً، ونال جرماً، والحكم الله والموعد القيامة.

مؤلفاته:

خلف لنا تراثاً علمياً راقياً، بالرغم من اشتغاله بالجهاد، ومقاومة الفساد، ومن أهم مؤلفاته:

١. كتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء.
٢. تفسير سورة الكهف.
٣. كتاب الأصول في التوحيد والعدل وهو الذي بين يديك.
٤. كتاب الإيضاح في الفقه.
٥. كتاب النوازل جزءان.
٦. جواب مسائل المغفلي.
٧. جواب مسائل مهدي أربعة أجزاء.
٨. كتاب النبوة.
٩. كتاب الإرادة.
١٠. كتاب المشيئة.
١١. كتاب التوبة.

١٢. وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

١٣. كتاب الرد على القرامطة.

١٤. كتاب الشرح والبيان ثلاثة أجزاء.

١٥. كتاب الرضاع.

١٦. كتاب مسائل القدمين.

١٧. كتاب مسائل الحائرين.

١٨. كتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء.

١٩. كتاب مسائر ابن الناصر.

٢٠. كتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء.

٢١. كتاب مسائل عبدالله بن سليمان.

٢٢. جواب ابن فضل القرمطي.

٢٣. فصل المرتضى.

٢٤. رسالة في المناهي.

٢٥. كتاب النبوة والإمامة.

٢٦. الفصل المروي.

٢٧. الرسائل السبع المنتقاة، وهي رسائل في الوصايا كتبها إلى أحد مريديه.

٢٨. الغفلة.

٢٩. رسالة الإمام المرتضى إلى أهل طبرستان.

وفاته وموضع قبره:

اثنتان وثلاثون سنة هي فترة عمره، وبالرغم من قصرها إلا أنه عمل خلالها ما يعجز عن عمله المعمرون جهاداً، وتضحية، وتأليفاً، وعبادةً، ونسكاً. وكانت وفاته في أثناء من ولاية أخيه الإمام الناصر، وذلك سنة ٣١٠هـ، ولو امتد به العمر لرأينا ما هو أكثر وأكثر.

رحمه الله رحمة الأبرار، وسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً، وقبره جوار والده بمشهده المعروف من جامعه المقدس، وهو مشهور مزور.

مصادر ترجمته:

سيرةالإمام الهادي العلوي (٢٥٣ــ٢٧٤)، أعلام المؤلفين الزيدية: (١١١٣ــ ١١١٦)، التحف شرح الزلف(١٩٠ــ١٩١)، الحدائق الوردية الجزء الثاني ــ خ ــ التحفة العنبرية ــ خ ــ ، الجامع الوجيز ــ خ ــ اللالئ المضيئة ــ خ ــ معجم المؤلفين :١٠١/١٢ ، تراجم رجال شرح الأزهار:٣٦، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة (١٦٩ــ١٧٠) تاريخ اليمن الفكري:١٤٣/١ــ١٤٦.

المخطوطات المعتمدة في التحقيق:

اعـــتمدت في تحقيق هذه الرسالة العظيمة، على نسختين من مكتبة شيخنا السيد العلامة/ محمد بن الحسن العجري حفظه الله تعالى، ورمزت لها حسب ما يلي:

النسخة (أ):

وهـــي نســـخة كتبها السيد العلامة/ محمد بن الحسن العجري بيده الكريمة، وخطها جميل، ومصححه، خطها سنة ١٤٠٦هـــ ،وقد جعلتها أصل النقل، تقع في ٢٣صفحة من القطع المتوسط، ضمن مجموع.

النسخة (ب):

وهي نسخة يبدو عليها القدم، بخط لا بأس به ضمن مجموع يحتوي عـــلى رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، وهي في آخره، إلا أن كاتبها لم يذكر فيها اسمه، وتقع في ١٨ صفحة.

وقـــد حاولت قدر جهدي أن أثبت أصح الكلمات من النسختين، وهذان نموذجان من المخطوطتين.

الصفة الأولى من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الامام المرتضى لدين الله احمد بن الهادي الى الحق صلوات الله عليهما

اعلموا احاطكم الله وهداكم ووفقكم وكفاكم انه لا يصلح عمل الا بمعرفة وبصيرة ونية وعزيمة فاذا اتفقت المعرفة والعمل فقد سلم العبد من الهلكة والزلل واستوجب من الله سبحانه السلامة في دنياه الفانية واخرته الباقية فكان في هذه الدنيا برا تقيا وفي الاخرة مقربا زكيا نسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته والتمسك بحبله والموالاة لاوليائه والمعاداة لاعدائه والعمل بما امر به حتى يوصلنا واياكم بذلك الى ثوابه ويجعله لنا ولكم سترا من عقابه بعفوه.

باب التوحيد

فاول ما ينبغي لكم ان تعرفوا ولدين الحق ان تقصدوا وهو الواجب عليكم من الحق معرفة الله سبحانه واصل معرفته توحيده وكمال توحيده نفي جميع صفات التشبيه عنه فليس لله سبحانه شبه ولا نظير ولا يوصف بحد مما يوصف به المحدودون فتنفوا عنه جل جلاله عن ان يجوز قول او ينال شبه خلقه وكل ما كان فيهم ولهم من الادوات والالات من الايدي والارجل والوجوه والالسن والشفاة والابصار والاسماع حتى يخرج من قلوبكم ويصح في معقولكم انه بخلاف ما ذكرنا من خلقه وتعلموا ان كل ما ذكر الله سبحانه من ذلك في نفسه فمعنى وتاويلا معروفا عند اهل المعرفة والدين الذين امروا عليه وامروا بالقيام فيه والدعاء اليه فلا يقع في عقولكم ان المخلوقين بصفة من الصفات التي تعقل الاكوان وتميز بالعقول الاكوان والابصار الاكوان الله سبحانه

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

طريقة التحقيق:

١. دفعت هذه الرسالة إلى الكمبيوتر للصف.

٢. استخرجت نسخة منه وقابلتها على نسختين توفرت لدي .

٣. قطعت النص إلى فقرات ، والفقرات إلى جمل ، واستخدمت في ذلك علامات الترقيم المتعارف عليها.

٤. خرجت الآيات القرآنية وتم ضبطها بالشكل.

٥. وضعت هذه المقدمة المختصرة عن الكتاب والكاتب .

٦. ألحقت الباب الذي كان في آخر الرسالة بباب التوحيد، لأنه يتعلق بمواضيعه ، ونبهت على ذلك في موضعه.

٧. لم أكن أشعر بضرورة تخريج الأحاديث التي في هذه الرسالة، كونها من أصح الأحاديث سنداً، وأعلاه رتبة، وراويها من صفوة العترة الطاهرة، وإبريز الدرة الفاخرة، وسندها عزيز، ورجالها أباريز، وقد تعمدت تخريج الأحاديث التي يضيق النواصب لذكرها فقط، تخريجاً مختصراً لأسقيهم بكأسهم، وأقطع بها أعذارهم.

٨. وضعت فهرساً للأحاديث ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة، وكذلك فهرساً للمواضيع، وتركت قائمة المراجع خشية اثقال الكتاب.

وأخـــيراً :

أســـأل الله العظيم أن يجعل عملنا هذا وجميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين .

عبدالله حمود درهم العزي ـ صعدة

١٤٢١/٨/٢٣هـ

الموافق:١٩/١١/٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما :

اعلموا أحاطكم الله، وهداكم ، ووفقكم، وكفاكم، أنه لا يصلح عمل إلا بمعرفة وبصيرة ونية وعزيمة ، فإذا اتفقت المعرفة والعمل فقد سلم العبد من الهلكة والزلل ، واستوجب من الله سبحانه السلامة في دنياه الفانية وآخرته الباقية ، فكان في هذه الدنيا براً تقياً ، وفي الآخرة مقرباً زكياً .

نسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته والتمسك بحبله ، والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه ، والعمل بما أمر من حكمه حتى يوصلنا وإياكم بذلك إلى ثوابه ويجعله لنا ولكم ستراً من عقابه بعفوه.

باب التوحيد

فأول ما ينبغي لكم أن تعرفوا، وله من الحق أن تقصدوا، وهو الواجب عليكم من الحق: معرفة الله سبحانه ، وأصل معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي جميع صفات التشبيه عنه، فليس له سبحانه شبه ولا نظير، ولا يوصف بحد مما يوصف به المحدودون، فتنفوا عنه جل جلاله

عـــن أن يحويـــه قول أو يناله شبه خلقه، وكل ما كان فيهم ولهم من الأدوات والآلات مـــن الأيـــدي والأرجل والوجوه والألسن والشفاة والأبصـــار والأسمـــاع، حتى يخرج من قلوبكم ويصح في معقولكم أنه بخلاف ما ذكرنا من خلقه، وتعلموا أن كل ما ذكر الله سبحانه من ذلك في نفسه معنى وتأويلاً معروفاً عند أهل المعرفة والدين، الذين أؤتمنوا عليه وأمروا بالقيام فيه والدعاء إليه ، فلا يقع في عقولكم أن المخلوقين بصفة مـــن الصـــفات التي تعقل وتميز بالمعقول والأبصار إلا كان الله سبحانه بخـــلاف ذلك الذي يتوهمه المتوهمون، فكل ما وقع في قلوبكم أنه على مـــثال أو شـــيء من الأشياء فهو تبارك وتعالى بخلاف ذلك، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١] وقال عز وجل: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١ـــ٤] فهو الذي لا كفؤ له، ولا نظير، ولامثيل، ولا شبيه، ولا عديل، عز ربنا وجل عما يقول المبطلون والمشبهون علواً كبيراً ، ولا يوصف سبحانه إلا بما وصف به نفسه ، ولا يســـتدل عـــليه إلا بما أوجد من خلقه وأبان من صنعه، من سماءٍ مبنية وأرض مدحية وأرواحٍ مذرية وكواكب تجري وقمر يسري ونهار منير،

قـــدر شمسه الواحد القدير المكون لكل ما دل به على نفسه البريء من شبه خلقه.

باب القول في العدل

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه عدل في قضائه لا يقضي على خلقه بمعصية ولا يخرجهم من طاعة ، أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً لم يجبر على معصية و لم يخرجهم من طاعة ، بل مكنهم من الإستطاعة وأعطاهم على ما كلفهم القوة ، وجعل لهم إليه السبيل ، فمن أطاعه فقد نجا ومن عصى فقد استوجب من الله سبحانه النقم والبلاء.

فأما ما يقول به الجهال الذين لا يعرفون الله عز وجل ولا يصدقون وعـــده ولا وعيده ، فيقولون: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي ويأمر بها والله تعـــالى بـــريء من ذلك ، بل كذبوا في قولهم ، واجتروا على الله بكلامهم، وكيف يقضي سبحانه بمعصية ثم يعذبهم عليها، إذاً لكان لهم ظالماً وعليهم متعدياً والله بريء من ذلك، ولو كانت المعصية كما يقول هؤلاء الظلمة إنها قضاء من الله حتم، ما كان للعبد في ذلك ذنب، لأن المعصـــية حنيـــئذ فعل الله لا فعل العبد، وليس للعبد في قضاء الله حيلة،

أفلستم ترون إن كان الأمر كما قال هؤلاء الظلمة إن الله قد ظلمهم، أو عذبهم على فعلهم، لأنه حين قضى عليهم بالمعصية قد منعهم من الطاعة، ولو تركهم والطاعة لأطاعوا، والله بريء مما يقول فيه المبطلون، وأسنده إليه الجاهلون، ألا تسمعون كيف أكذبهم سبحانه:﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[الأعراف:٢٨] .

فأكذبهم في قولهم، ونفا عن نفسه ما نسبوه إليه بظلمهم، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] ، فذكر خلقهم للعبادة لا للمعصية ، وأكذب قول من زعم أن الله يقضي على العباد بالمعاصي وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٩٠] وذكر أنه أمر بالصلاح والتقى والدين والهدى، وأبطل بذلك قول من زعم أن المعاصي من الله قضاء أرأيتم لو أن أحدكم أمر عبده وحكم عليه بعمل شيء من الأشياء فعمله وأطاعه ثم أخذه فضربه على ما عمل مما أمر به، أليس يكون قد ظلمه وتعدى عليه؟ فإذا كان هذا من فعل المخلوقين ظلماً وتعدياً ومستنكراً، فكيف يجوز أن

ينسب إلى الله رب العالمين ؟ أو يقال به في أحكم الحاكمين أن يكون يقضي عليه بمعصيته ثم يعذبه عليها!!!

[تفسير بعض المتشابه]

فإن قال قائل: فإن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ **يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النحل:٩٣] فقد نراه يضل؟

قيل له : إنك تتبع ما تشابه منه، كما قال الله سبحانه: ﴿ **ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران:٧] وقد أخبر أن تأويله ما يعلمه إلا الله والراسخون في العلم والقرآن عربي ليس بأعجمي، إنما يفسره العلماء من آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ممن له المعرفة باللغة والقصد الذي أراد الله به، فمعنى : ﴿ **يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ فإنما هو يوقع اسم الضلالة عليهم لما أن استوجبوا بفعلهم اسم الضلال ، سماهم ضالين، وهذا موجود في اللغة إذا قال رجل لرجل: يا ضلال فلان ضللني و لم يضله عن طريق ولا محجة ، وإنما سماه ضالاً فلما أن سماه ضالاً قال ظلله، فعلى هذا يخرج معنى قوله سبحانه: ﴿ **يُضِلُّ** ﴾ أي يوقع اسم الضلال على من يستأهل ذلك بفعله، ولو كان كما يقول المبطلون يقضي عليهم بالمعاصي حتماً وبالطاعة حتماً كما قضى بالموت والخلق، فجعل منهم أبيض وأسود وأحمر وأصفر وأسمر وطويلاً وقصيراً، ماذمهم على معاصيهم ولا عاقبهم على فعلهم، ولا حمدهم على حسناتهم ولا

على طاعتهم ، إذ كان ذلك منه قضاء كما لم يحمدهم و لم يعاقبهم على بياضهم وسوادهم واختلاف ألوانهم وموقم ، ولكن جعلهم مخيرين في الطاعة والمعصية، وأبان لهم طريق النجاة والهلكة ، ثم قال: ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال:٤٢]فعاقبهم على اختيارهم المعصية وأثابهم على اختيارهم الطاعة ، والشاهد على ما قلنا من تخييره لهم وتركيب الإستطاعة فيهم وأنهم غير مضطرين ولا مقهورين.

قوله عزو جل: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** ﴾ [فصلت:١٧]فأخبر الله أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى، ولو كانوا مجبورين على المعصية مقضياً عليهم بها، ما استحبوا أشياء، ولا قدروا من بعد أن هداهم أن يستحبوا ، وكيف يجوز لمن آمن بالله أن يقول: أن الخلق مجبورون والله يقول: استحبوا فقول الله أحق وأولى وأصدق في جميع الأشياء، لأنه لا يجوز أن يقال اختر لمن لم يجعل له اختياراً ولا استحباباً ، ولولا أنه جعل فيهم الإستطاعة ما قال استحبوا هذا ما لا يقول به عارف تقي بعد ما يسمع من قول الله سبحانه ما يسمع.

فهذا كتاب الله ينطق بخلاف ما قالت المجبرة ، فسبحان من لا يظلم العباد ولا يقضي عليهم أبداً بالفساد.

باب القول في الوعد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه يبعث من في القبور، ويجمعهم عز وجل ليوم النشور، وأن ما وعد الله سبحانه أوليائه وأهل طاعته من الثواب الكريم والخلود في جنات النعيم حق: ﴿ **لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر:٤٨] دايم سرورهم ، رائحة أجزائهم، جزيل عطاؤهم، مستمر ذلك لهم أبداً ﴿ **لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [الدخان:٥٦]فهذا الذي ذكرنا من وعد الله سبحانه حق يقين مثل ما أنكم تنطقون ليس في وعد الله خلف ولا لعطائه انقطاع ما دامت السموات أبد الأبد.

باب القول في الوعيد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن وعيد الله سبحانه وما أعد لاعدائه المخالفين لطاعته حق: ﴿ **جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [المجادلة:٨] ﴿ **لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا**﴾ [النبأ:٤] كما قال سبحانه: ﴿ **إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾ [النبأ:٢٥] يعذبون فيها بألوان العذاب في السلاسل والأغلال ، ولهم كما قال سبحانه : ﴿ **مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**﴾ [الحج:٢١]

يضرب بها رؤوسهم، إن استغاثوا من جوع أطعموا الزقوم، وإن استغاثوا من عطش اسقوا ماء الحميم تقطع أمعاؤهم في بلاء لا ينفد وعذاب سرمد مؤبد .

لا يموتون فيها أبداً كما قال سبحانه:﴿ **لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا**﴾ [طه:٧٤] كلما احترقوا حتى تبقى أرواحهم في رؤوسهم ردهم الله على ما كانوا عليه من الصحة، وكلما أخرجوا من عذاب دخلوا في عذاب لا يخرجون من عذابها ساعة قال الله سبحانه: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ [النساء:٥٦] .

وقال عز من قائل: ﴿ **وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر:٤٨] وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:٧٤_٧٧] فإذا علمتم وأيقنتم أنه ليس بخارج من النار من دخل فيها فقد عرفتم الوعد والوعيد وأصبحتم لله سبحانه نعم أهل الطاعة والعبيد.

باب القول في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعلمون من بعد ذلك أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عبدالله ورسوله ، وخيرته من خلقه، وصفوته من جميع بريته، خاتم النبيئين لا نبي بعده، أرسله الله سبحانه نذيراً وناصحاً ، وبشيراً بدين واضح مستبين، خلص به خلقه من العذاب المهين ، ودلهم على الحق الواضح المستبين ، فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم رسالة ربه ونصح لأمته واجتهد في تبليغ ما أرسل به، حتى شرح الحلال والحرام ، وأوضح الحق والأحكام ، فلم يبق فريضة من فرائض الله سبحانه تعبد بها خلقه حتى بلغها ، رسوله جميع عباده ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

فلما أقام الله الحجة على خلقه برسوله وخاتم أنبيائه قبضه الله إليه وقد رضي عمله وتقبل سعيه، فعليه من الله فضل الصلاة والترحيم.

باب القول في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ثم تعلمون من بعد ذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب أخو رسول الله ووصيه، وأفضل الخلق بعده، وأعلمهم بما جاء

به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقومهم بحق الله، وأشدهم بلاء في جهاد أعداء الله بين يدي رسول الله، وفيه ما يقول الله سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[المائدة:٥٥] .

فكان يؤتي الزكاة وهو راكع علي بن أبي طالب دون جميع الخلق.

وفيه ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)[١] .

والخلق كلهم مجتمعون يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ــ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة المشهورة ، أخرجه الإمام أبوطالب في الأمالي : ٣٣ ، والإمام المؤيد بالله في أماليه : ٩٠ ، وغيرهما كثير من أئمتنا كما أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣/ ١٣٢ ، وأحمد في المسند : ١/ ٣٣١ ، والنسائي في الخصائص : ٤٥ ، ومسلم : ٢/ ٣١٧ قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، هذا الخبر قد بلغ حد التواتر ، وليس كخبر من الأخبار ماله من كثرة الطرق، وطرقه مائة وخمس طرق ، انظر التحف : ٣٢٥، قلت وقد تتبعها السيد الأميني في موسوعته الضخمة الغدير ، وقال المقبلي في الأبحاث المسددة : ٢٤٤ : (فإن كان مثل هذا ــ أي حديث الغدير ــ معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم) ، وقال السيد المحدث محمد إبراهيم الوزير : (إن حديث الغدير يروى بمائة طريق وثلاث وخمسين طريقاً).

وسلم وهو رافع بيد علي عليه السلام حتى أبصر بياض أباطهما وهو ينادي بهذا القول.

وفيه أيضاً يقول: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) [١] ويقول: (علي مع الحق والحق معه) [٢].

ثم تعلمون من بعد ذلك أن السبطين الحسن والحسين أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيباه وأنهما إماما عدل واجبة طاعتهما

---

(١) ــ حديث متواتر صحيح ، أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في المجموع : ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ، والإمام الهادي (ع)في الأحكام ١/٣٨ ، والإمام أبو طالب في أماليه (٣٢،٣٥) ، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم ٤١٩، والمؤيد بالله في الأمالي الصغرى (١٠٤ (٢٠)) والبخاري ٥/٩٩ و٦/١٨ ، ومسلم ٤/١٨٧٠ (٢٤٠٤)، الترمذي رقم (٣٧٣١) ، ابن ماجة ١/٤٢ رقم (١٧٥) ١ /٤٥ رقم (١٢٠)، والحاكم في المستدرك ٣ /١٠٩) ، وتتبع طرقه ابن عساكر في نحو عشرين ورقة عن نيف وعشرين صحابياً ، والسيوطي عن عشرين صحابياً ، وأورده الزبيدي في لفظ اللالئ المتناثر في الأحاديث المتواترة .

(٢) ــ رواه الإمام أبي طالب في الأمالي : ٣٩ ، عن أم سلمه ، وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٣٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٢٤) عن علي عليه السلام وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ١٥٣ عن أبي سعيد ، وله مصادر كثيرة ، وشواهد ومتابعات كلها تؤكد اقتران الحق بأمير المؤمنين علي عليه السلام ودورانه معه ومسايرته له .

مفترضـــة ، ولأبيهما وفيهما وفي أبيهما وأمهما ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حين جمعهم تحت الكساء ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم ، اللهم وال من والاهم وعاد مـــن عاداهم)[١] ، وفيهما ما يقول عليه السلام: (كل بني انثى ينسبون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما)[٢].

---

(١) حديـــث الكســـاء من الأحاديث الصحيحة المشهورة، رواه أئمة العترة الطاهرة، منهم الإمام الهادي، وجده الإمام القاسم بن إبراهيم، والإمام الناصر الأطروش، وتوسع في تخريجه وذكـــر طرقه الإمام القاسم بن محمد في كتاب الإعتصام الجزء الأول، وكذلك ذكر الإمام الناصر الأخير عبدالله بن الحسن رحمه الله في كتابه الأنموذج الخطير في آية التطهير عدداً من الدلائـــل والإستنتاجات القاضية بفضائل الخمسة خصوصاً، وبقية العترة عموماً، وكذلك ذكر شيخنا السيد العلامة الولي مجد الدين المؤيدي حفظه الله في لوامع الأنوار:١/٥٥. وممن رواه من غيرهم مسلم في جامعه:٧/١٣٠، والطبراني في تفسيره:٢٢/٥ وابن كثير ٣/٤٨٥ وأحمد بن حنبل في مسنده: ٦/٢٩٢، والثعلبي في تفسيره ص٢٠ ، والحاكم في مستدركه: ٣/١٤٧، والترمذي في سننه: ٥/٣٥١.

(٢) وفي روايـــة الإمـــام الهـــادي إلى الحق عليه السلام : (كل بني أنثى ينتمون...) إلى آخر الحديث رواه في مقدمة الأحكام:١/٤٠، والإمام أبو طالب عليه السلام رواه نحوه، وأورده العنســـي في الإرشـــاد:٢١٦، وكذلـــك في فـــرائد السمطين:٢/٧٧، باختلاف يسير ، والسيوطي في الجامع الصغير:٣/٧٩ ، وكنـــز العمال:١٢/١١٤، والحاكم في المستدرك:٣ /١٦٤ ، وأبو يعلى :١٢/١٠٩، والبغدادي في تاريخ بغداد:١١/٢٨٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد:٩/١٧٢ .

وبذلك حكم الله سبحانه لهما حين يقول الرسول له إذ أمره بالمباهلة للنصارى فقال: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران:٦١] .

فحضر صلى الله عليه وآله وسلم بالحسن والحسين فهما أبناؤه بحكم الله لهما بذلك وأحضر معهما علياً وفاطمة فعلي نفس رسول الله وفاطمة بضعة منه[١].

وفيهما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)[٢].

---

(١) روى هذا كثير من المفسرين والمؤرخين والمحدثين، منهم الحبري في تفسيره: ص٢٤٧، وابن كثير:٣٧١/١، والواحدي في أسباب النزول: ص٧٥، والطبراني:٢١٢/٣، ومسلم ١٢٠/٧_١٢١، وابن حجر في صواعقه:٧٢، وأحمد في مسنده:١٨٥/١، والترمذي في سننه:٢٩٣_٢٩٤، والحاكم في مستدركه:١٥٠/٣.

(٢) حديث صحيح رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب العدل والتوحيد: ص٦٩ (ضمن رسائل العدل والتوحيد) والعلوي في الجامع الكافي ـــ خ ـــ وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن: ص٧٨، والحاكم في المستدرك:١٦٧/٣.

وفيهمـــا صلوات الله عليهما من الأخبار والروايات ما يكثر ذكرها ويتسع شرحها وفضلها فأكثر من أن تحصى وفيما شرحناه كفاية وبيان.

باب القول في الإمامة

ثم تعـــلمون من بعد ذلك أن الأئمة من ولد الحسن والحسين، فمن كان مستأهلاً من أحد هذين البطنين وكانت فيه شروط الإمامة وصفتها فهـــو الإمـــام مفترض الطاعة ولا تجوز الإمامة أبداً إلا في ولد الحسن والحسين بتفضيل الله لهما وجعله ذلك فيهما.

قـــال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أهل بيتي أفضل الخلق، وهم صفوة الله من خلقه، والأمناء على بريته في عباده)، ذلك لمن كان مـــنهم فاضـــلاً، ولأمر الله عليه متبعاً، وبحكمه مقتدياً، وفيهم ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)[1] .

---

(١) حديـــث صـــحيح رواه الإمـــام الهـــادي في الأحكام:٢/٥٥٥، والإمام أبو طالب في الأمالي:ص١٠٥، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية:١/١٥٦، والإمام علي بن موسى في الصـــحيفة ضمن المجموع:ص٤٦٤، والحاكم في المستدرك:٣/١٥١، وقال: هذا حديث صـــحيح على شرط مسلم، والطبراني في الكبير:١٢/٣٤، وابن المغازلي في المناقب:١٣٢، والطـــبراني في الكـــبير:٣/٤٥، والطبري في ذخائر العقبى:٢٠، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٢/٩١.

وفيهم أيضاً يقول: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض والنجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون)[١].

وفيهم ما يقول: (أيها الناس[٢]: إني سائلكم غداً فمجحف بكم في المسألة عن كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٣].

---

(١) حديث النجوم من الأحاديث الصحيحة، أجمعت على صحته العترة، ورواه جمع من المحدثين، رواه الإمام الهادي في الأحكام:٢/ ٥٥٥، والإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة ضمن المجموع:٣٦٣، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية:١٥٢/٢، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب برقم:٦٢٤، ٢٢٠ــ والطبراني في الكبير:٢٢/٧، والحموئي في فرائد السمطين:٢٤١/٢، ٢٥٢، والحاكم في المستدرك:٤٤٨، والهيثمي:١٧٤/٩، وغيرهم.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ــ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة معنى ، ورد بأسانيد صحيحة عن بضعة وعشرين صحابياً ، انظر لوامع الأنوار : ٥٢/١ . وقد تتبع السيد عبدالعزيز الطباطبائي طرقه ، ومواقعه المختلفة في مجلة تراثنا العدد ١٤ السنة ١٤٠٩ هـ ص٨٤ ــ ٩٣ ، تحت عنوان ((أهل البيت في المكتبة العربية)) ، وكتب العلامة القمي رسالة سماها حديث الثقلين ، وذكر فيها عدداً من الرواة ، وهنالك كتاب اسمه : طرق حديث إني تارك فيكم الثقلين)

وفيهم ما يقول: (ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة)[١].

وفيهم ما يقول: (ما دخل في دمائنا أهل البيت أحد من الناس بسهم ولا سيف ولا رمح ولا شطر كلمة إلا جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله).

لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي وممن أخرجه الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع : ٤٠٤ ، والإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة : ٤٦٤ ، والإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في مقدمة الأحكام : ٤٠ ، والدولابي في الذرية الطاهرة ١٦٦ رقم (٢٢٨) ، والبزار ٨٩/٣ رقم (٨٦٤) عن علي عليه السلام .وأخرجه مسلم ١٥/ ١٧٩ ، والترمذي ٦٢٢/٥ رقم : ٣٧٨٨ ، وابن خزيمة ٦٢/٤ رقم (٢٣٥٧) ، والطحاوي في مشكل الآثار :٤/ ٣٦٨ ــ٣٦٩ ، وابن أبي شيبة في المصنف : ٤١٨/٧ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٣٦٩/٥ (تهذيبه) ، والطبري في ذخائر العقبى ١٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٣٠/٧ ، والطبراني في الكبير : ١٦٦/٥ رقم (٤٩٦٩) ، والنسائي في الخصائص ١٥٠ رقم ٢٧٦ ، والدارمي: ٤٣١/٢ ، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ٢٣٤ ــ ٢٣٦ ، وأحمد في المسند ٣٦٧/٤ وابن الأثير في أسد الغابة ١٢/٢ ، والحاكم في المستدرك : ١٤٨/٣ ، وصححه وأقره الذهبي ، عن زيد بن أرقم ، وروي بطرق أخرى كلها تؤكد تواتره وصحته .

(١) حديث صحيح رواه الإمام الهادي في مقدمة الأحكام:١/٤٠، ٥٥٥/٢ ، والإمام القاسم بن محمد في الإرشاد:٦٧، والعنسي في الإرشاد إلى نجاة العباد:٢١٩.

وفيهم ما يقول الله سبحانه مما افترض على خلقه من المودة لأهل بيت نبيئة عليه السلام فقال: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [1][الشورى:٢٣] فأوجب محبتهم وافترض ولايتهم مثل الصلاة والصيام ، فمن قام بما أوجب الله عليه فيهم سلم وغنم، ومن قصر في ذلك هلك وندم.

وفيهم ما يقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [2][الأحزاب:٣٣] .

فبين الأمر فيهم سبحانه وأوضحه ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء:١٦٥] .

---

(١) آية المودة من الآيات النازلة في فضل أهل البيت عليهم السلام، روى ذلك كثير من أهل البيت عليهم السلام وأجمعوا عليه، وكذلك شيعتهم الأخيار، وممن رواها فيهم الحبري في تفسيره:ص٣٥٩، والحاكم في مستدركه:٣/١٧٢، وأحمد في مسنده:ص١٠٥، وابن المغازلي في المناقب:ص٣٠٧، وابن حجر في الصواعق :١٠١ وغيرهم.

(٢) تقدم الكلام في حديث الكساء.

باب القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعلمون من بعد ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قاموا بالدين، وكانوا في حقيقة الإيمان، واتبعوا بالطاعة والإحسان، واجب فضلهم مشهور، والطاعن عليهم مأزور، والمتنقص لهم مذموم هالك عند الله مثبور معذب مدحور، لمدح الله سبحانه لهم وما قال فيهم حيث يقول: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح:١٨] .

وقال عز وجل: ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة:١١٧] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ [الفتح:٢٩] .

وفيهم من التفضيل في كتاب الله وعلى لسان نبيه ما لو ذكرناه لطال به الشرح وكثر فيه القول، فحقهم واجب على جميع المسلمين، وفضلهم

لازم لجميع المؤمنين، فلا يسع أحد من الناس طعن على أحد ممن ذكرنا إلا الترحيم عليهم، والإستغفار لهم واجب، والإقتداء بحسن أفعالهم لازم، إذ لهم السابقة القديمة والأفعال المحمودة والنية والبصيرة، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، أنه لذو فضل على العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فذلك الواجب لمن ثبت على عهد رسول الله منهم و لم يتغير عما عاهد الله فيه لقي الله عليه..

باب القول في الجهاد

ثم بعد ما ذكرنا فيجب على الخلق أن يعرفوا فضل الجهاد وما أوجب الله عز وجل لمن جاهد من الثواب الكريم والجزاء العظيم ، فبالجهاد يقام الكتاب، وتحيا السنة ، وتنفذ الأحكام، ويذهب الباطل والآثام، وتشبع البطون الجايعة، وتكسى الظهور العارية، وينصف المظلوم، ويقمع الجبار، ويرضى الرحمن، ويسخط الشيطان، وتذهب الأهواء المشكلة، وتثبت الأسباب النيرة.

وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف:١٠ـ١٢] .

فأوجب الله سبحانه لمن جاهد غفران الذنوب جميعاً و لم يوجبه في شيء من الأعمال إلا في الجهاد، وقال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه في الجهاد: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] .

ثم قال عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٨ـ٣٩] .

وقال سبحانه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١] فلما ذكر الجهاد قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الصف:١٢] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] .

وفي الجهـــاد مـــا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما اغبرت قدما رجل مؤمن في سبيل الله فطعمته النار).

وقـــال عـــليه السلام: (إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت الذنوب عنه كما يتحات التمر اليابس من روس النخل في يوم عاصف).

وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لنومة في ســـبيل الله أفضـــل عند الله من عبادة ستين سنة يصوم نهاره لا يفطر ، ويقوم ليله لا يفتر).

ويقول عليه السلام: (ما خفقت راية حق على رأس امرء مسلم إلا حرم الله عليه النار).

وقال عليه السلام: (مثل أعمال البر مع الجهاد كمثل مجة في بحر).

وفي الجهـــاد مـــن الفضل والذكر من الله سبحانه ومن رسوله عليه السلام ما يطول شرحه ويكثر ذكره ، والقليل النافع خيرمن كثير غزير لا يغني .

والجهاد فإنما فرضه الله عز وجل على كل مسلم وأمرهم بجهاد كل ظـــالم غاشم فقال سبحانه في كتابه: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَـــلُونَكُمْ مِـــنْ الْكُفَّـــارِ وَلْيَجِـــدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة:١٢٣] .

فلما نـــزلت هذه الآية قال بعض الناس الجهاد في أهل الشرك، وقال بعضهم الجهاد في أهل البغي من أهل الإسلام حتى يعودون إلى ما حكم به رب العالمين في كتابه المبين.

ثم نظرنا في قولهم فطلبنا شاهداً في كتاب الله عز وجل في اختلافهم، فوجدنـــا الله عز وجل قد بين ذلك في كتابه فقال سبحانه:﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُـــمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤]﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنـــزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة:٤٥]﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة:٤٧] .

فعلمنا عند ذلك أن كل من لم يحكم بما أنـــزل الله ، فقد افترض الله جهـــاده، وأوجـــب عـــلى الأمة قتاله، حتى يرجع إلى أمر الله، قال الله ســـبحانه لنبيـــئه عليه السلام: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التوبة:٧٣] فأمر الله بجهـــاد الكافر والمنافق معاً، وقد أمر سبحانه نبيئه عليه السلام بقتال فئة مـــن المســـلمين بغت على فئة أخرى من المؤمنين فقال سبحانه:﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات:٩] .

فـــإذا كان الله عز وجل يأمر بجهاد فرقة من المؤمنين إن بغت في دلو مـــاء على فئة أخرى من المسلمين ، وذلك أن جهينة ومزينة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبق أحد الحيين إلى الماء يقال أنهم جهيـــنة، ثم جاءَهم مزينة وكانت أكثر منهم فقالت لهم انحازوا عن الماء حـــتى نشرب، فامتنع الآخرون من ذلك وقالوا سبقناكم إلى الماء، فإذا فرغنا شربتم كما شربنا، وأبوا عليهم وقاتلوهم على الماء وطردوهم عنه، فأمـــر الله سبحانه بقتالهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصارمعه حتى وضعوا السلاح في الفئة الظالمة وقتلوا منهم وطـــردوهم، فإذا كان الله يأمر بقتال فئة من المسلمين إن بغت على فئة مـــن المؤمنين في دلو ماء، فكيف لا يأمر بقتل[1] من بغى رب العالمين؟ وخـــالف سنة خاتم النبيئين، وشرب الخمور، وارتكب الشرور، وعطل الصـــلاة، وترك الزكاة، واعتكف على اللهو والطنابير، واشتغل يضرب المعـــازف والمزامير، وظلم الأيتام، وقتل الإسلام وظلم المسلمين، وقتل الضعفة والمساكين، وهتك الحريم ، وأظهر المنكرات، وأمات الصالحات، فجهـــاد هـــؤلاء ومن كان مثلهم فواجب على الأمة صلاح دارمحمد

---

(١) في النسخة(ب): بفعل، والصحيح ما أثبتناه.

وتنزيهها من الأدناس التي هي فيها، حتى يرجعوا إلى ما افترض الله عليهم من حكمه، والقيام بما أوجب الله من حقه، فإذا فعلوا ذلك وأقاموا دينهم، ونزهوا دارهم، وجب عليهم أن يخرجوا إلى الروم وغيرهم من المشركين.

فأما والدار فاسدة وأحكام الكتاب مطرحة، وكثير من الخلق عن الله صادّون[1]، ولأمره مضادون، وعلى معاصيه مكابرون، فكيف يُجاهد المشركون وتصلح دارهم، وهذه دار محمد عليه السلام فاسدة، وأمته لشريعته بعد تاركة، إلا من عصم الله قلبه وبالخير سدده، وذلك القليل من القبيلة، والواحد من الجماعة، فليبك على الإسلام الباكون، ولينذب دين محمد عليه السلام النادبون، فقد أصبح غريباً[2] مطرحاً، قليلاً ناصره، كثيراً مضاده، فإلى الله في ذلك المفزع والمشتكى، وهو غاية المطلب والرجا، فرحم الله عبداً نظر لنفسه، وقاس شبره بفترة، وطلب ما ينجيه في آخرته، ورجع إلى الله تائباً من ذنوبه، وعمل لآخرته، واستكثر

---

(١) في (ب): هاذون، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) استناداً إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا فطوبى للغرباء).

من زاده ليوم معاده ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨_٨٩].

النجا النجا عباد الله، والطلب الطلب لما ينجي من العطب في يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس:٣٤_٣٧]

فلا تغتروا رحمكم الله بالدنيا، ولا تستعملوا في حياتكم المُنَا، فكم من مغرور بأجله قد نعته الموت في غفلته، فالدنيا غارة لمن ركن إليها، مهلكة لمن وثق بها، لا يدوم خيرها، ولا تنفك[1] حجايبها ولا فجايعها، من اطمأن إليها خدعته، ومن وثق بها صرعته، المغرور من اغتر بها، والجاهل من وثق بشيء منها.

فبادروا فيما ينجيكم عند الله ويقرّبكم إلى ثوابه، ويباعدكم من أليم عقابه: ﴿ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

---

(١) في النسخة(ب) : ولا ينفك.

باب وجوب طاعة أولي الأمر من ولد الرسول صلى الله عليهم أجمعين

ويجب على المسلمين أن يعرفوا على الحقيقة ما أوجب الله سبحانه عليهم من طاعة أولي الأمر من أهل الحق والقومة بالصدق، الذين أمر الله بإتباعهم، فقال: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة:١١٩] .

فيجب على من اعتقد طاعة إمام عدل أن يحسن طاعته، ويخلص في قيامه معه، ولا يجوز[1] ما أمره به، فإن المخالفة لإمام حق وزر عظيم وذنب عند الله جسيم، وتصديق ذلك ما تجدون في كتاب الله جل وعز من الأمر بالطاعة، ألا تسمعون كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [النساء:٥٩].

فأمر سبحانه عباده بالطاعة، وحكم عليهم سبحانه في ذلك بالإستقامة، ثم قال عز وجل: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥].

---

(١) أي لا يتعدى ولا يخالف.

فـــأوجب الله سبحانه الطاعة لأنبيائه عليهم السلام، ثم أوجبها من بعدهم لأوليائه المطيعين لأمره، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ **مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء:٨٠] .

وقـــال ســـبحانه : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُـــرُونَ بِالْمَعْـــرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الـــزَّكَاةَ وَيُطِيعُـــونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٧١] ، ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:٧٢].

فأعطاهم الله سبحانه على الطاعة ما يسمعون مما ذكر من عظيم الهبة وجزيل العطية، وكريم المنـــزلة، لأنه لا تتم الديانة إلا بالطاعة، ولا يثبت ديـــن مع المخالفة،قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِـــنَةٍ إِذَا قَضَـــى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا** ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

ثم قـــال سبحانه يعذر إلى خلقه، ويقيم الحجة عليهم في الطاعة وما أمـــرهم بـــه مـــن الإستقامة، ﴿ **فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:٦٤] ويخبر عما سيناهم في مخالفتهم عن الطاعة، وينزل بهم في الآخرة من غضبه وأليم عذابه لعنته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤ـ٦٨] .

فوقعت بهم عند ذلك الندامة حيث لا استقامة، وجعلوا بين أطباق النيران، وفي محل الخزي والهوان، ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى نَزاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج:١١ـ١٨].

ثم قال سبحانه يحث على الطاعة لنبيئه عليه السلام: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٨] .

وطاعة الأئمة الأتقياء فرض من الله سبحانه كما أوجب طاعة الأنبياء سواء سواء، قال الله سبحانه: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النساء:٥٩] وقال سبحانه: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] .

فاحفظوا رحمكم الله دينكم بالإستقامة والطاعة والنصيحة لله سبحانه على الحقيقة، الذي أمركم فإن الله عز وجل يطلع على قلوبكم ويحيط بما استجن بين جوانحكم، وهو المكافئ لكم، ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ [الزلزلة:٧ـ٨]، ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢].

باب النازل

ويجب أيضاً على كل عاقل من أهل الإسلام عند نـــزول شديدة من الشدائد في نفسه أو ولده أن يحسن بالله الظن، فما كان من هذه النوازل مـــن قبل الله سبحانه، نظر فيها الذي تنـــزل به نظراً جيداً، وميز أمره، فإن كان مطيعاً لله سبحانه، مؤتمراً بأمره، منتهياً عن نهيه، غير مخالف في شيء مما حكم به، فليعلم أن هذه النازلة محنة من الله سبحانه، اختبره بها ليضـــاعف له الأجر والثواب عليها، ويعظم العطاء والجزاء فيها، لأن الله ســـبحانه يقول: ﴿ **الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ**

﴿يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١ـ٢] ، أي يمتحنون لتتبين حقائق إيمانهم وصحة إسلامهم عند نـزول الشدائد والإمتحان بهم.

وإن كان صاحب هذه النازلة عاصياً لله، معانداً مرتكباً لمعاصيه، غير خـائف له ولا مؤتمـر بأمره، فليعلم أن ما نـزل به من هذه المصايب عقوبـة وبـلاء وخزي من الله في جميع الأشياء، وذلك قليل من كثير، سـينـزل به ويحل بساحته، فليبادر بالتوبة والرجعة، قبل حلول منيته، والوقوف لمحاسبته.

باب معاداة الظالمين والبراءة منهم

ويجـب أيضاً على جميع المسلمين أن يقفوا على ما أمرهم الله به في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، من المعاداة للظالمين والمجانبة لهم، والرفض لمن كان ظالماً من قريب وبعيد، فإن ذلك فرض من الله مؤكـد في كـتاب مبين، قال الله سبحانه: ﴿ **لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة:٢٢] .

فحـرم الله عـلى كـل مؤمن الموادة لمن كان عدواً لله من الآباء، والأبـناء، والإخوة، والعشيرة، وافترض عليهم مجانبتهم وعدواتهم، كما افترض عليهم الصلاة سواء سواء.

ثم قـــال سبحانه مؤكداً العداوة للظالمين، زاجراً عن موالاتهم ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ**﴾ [هود:١١٣] .

فأعلمهم سبحانه أن جزاء من مال إلى الظالمين وأحبهم النار والخزي والهـــوان، ثم قـــال سبحانه: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَـــاءَ مِـــنْ دُونِ الْمُؤْمِـــنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء:١٤٤] .

فنهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء، والكافر فكل من ارتكب المعاصي لله وخالف أمره وضاد حكمه، فهو كافر لنعم الله، قال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنـــزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:٤٤] .

فأخبر سبحانه أن من لم يحكم بما أنـــزل الله فهو كافر معاند، يجب البراءة منه، والمعاداة له، والمباينة والهجران، حتى يعود إلى أمر الله وطاعته، أو تهلكه أحكام الله على معصيته، ألا تسمعون كيف يقول الله عز وجل في خليله إبراهيم الأواه الحليم، حين يخبر عن فعله في الله عز وجل حين يقـــول سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [التوبة:١١٤] ثم قال عز وجل في كتابه يخبر أيضاً عن إبراهيم عـــليه السلام حيث يقول: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

فباين إبراهيم والذين معه آباءهم وأبناءهم وإخوانهم الذين كانوا معهم بالغداة، حتى عاندوا الله سبحانه وخالفوا أمره، وكذلك يجب على كل مؤمن يومن بالله أن يقتدي بفعلهم ويتبع ما أمر الله به في ذلك من معاداتهم.

وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] .

وفي معاداة الظالمين ما يقول الله سبحانه للمؤمنين، ويطلعهم عليه من أخبار الفاسقين، ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ [النساء:٨٩] .

وفي أقل ما تسمعون من كتاب الله ما يوجب البراءة من أعدائه على كل مسلم، فمن وادّ عدواً من أعداء الله وأحبه، أو ناصره، أو عاضده، أو كاتفه، فقد أعان على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، واستوجب

من الله الخزي والهوان، ومعاجلة الأغلال، وبرئ من الله ورسوله وملائكته وجميع المسلمين، قال الله سبحانه: ﴿ **أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود:١٨] .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الإيمان الحب في الله والبغض في الله).

وروي أيضاً: (حق على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما لا يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مؤنة لمعاشه، وتزود لمعاده ــ يعني آخرته ــ وتلذذ في غير محرم).

وقد يروى أنه نزل على موسى النبي صلى الله عليه في الصحف: (عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح!! ولمن أيقن بالنار ثم هو يضحك!! ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم هو يطمئن إليها!! ولمن أيقن بالحساب ثم هو لا يعمل!!).

ويروى عن أبي ذر رحمة الله عليه قال: قلت يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال عليه السلام: (من سلم المسلمون من يده ولسانه).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد)

ثم وصف ذلك حتى وصل إلى الجهاد، ثم قال: من ذلك على أربع شعب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن ـــ يعني مواطن الحـــرب ـــ وشـــنئان الفاسقين ـــ يعني البغض لهم ـــ ثم قال: من أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صـــدق في المواطـــن قضى الذي عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له) وقال الشاعر:

إن عيشاً يكون آخره الـــموت لعيـــش معجـــل التنغيـــص

فانتفعوا رحمكم الله بكتاب الله، واستضيئوا بنوره، وتعلقوا بحبله، فقد بـــين الله سبحانه في كتابه لكم ما يرضيه من الأفعال، وما أسخطه من الأعمال، فاتبعوا ما أمركم الله بفعله، واتركوا ما أمر بتركه، تصبحوا من الآمنين، وعندالله سبحانه من المقربين، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

[مسائل تتعلق بباب التوحيد[1]]

فإن قال قائل: ما معنى قول الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فالجواب في ذلك يخرج على أربعة معاني معروفة معلومة عند جميع العرب، مفهومة .

فأولهـــا: أن يكون معنى سميع هو عليم، والحجة في ذلك قول الرحمن الرحيم ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف:٨٠] والسر فهو ما انطوت عليه الضمائرو لم يبدوا، فذلك أسر السرائر.

والنجوى فهو ما يتساربه ويخفيه المتناجون من الكلام والمحاورة فيما يخفون ويكتمون.

والســـر الذي في القلوب، فليس يسمع لأنه مستجن لم يسمع وإنما يســـمع ما ترجمه اللسان وباح به ضمير الإنسان، وإنما أراد ذو الجلال والإكـــرام بما قال في ذلك من المقال التوبيخ لهم والإخزاء والتوقيف لهم على ما يأتون من الخطأ، إذ يتوهمون فإن الله لا تخفى عليه خافية سراً أو علانيـــة، قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾

---

(١) كـــان من حق هذا الباب وما بعده أن يلحق بباب التوحيد لتعلقه به، ولكن أخره الإمام صلوات الله عليه لمقاصد لا تخفى.

[الزخرف:٨٠] يقول لا يعلم ونحفظ من أمرهم ما يكتمون من سرهم ويكتمونه في غيابات ضمائرهم.

والمعنى الثاني في اسم الواحد الباري أن يكون السميع هو المجيب للداعين ممن دعا من عباده المؤمنين، والحجة في ذلك فما حكى الواحد الكريم عن نبيئه زكريا وخليله إبراهيم الأواه الحليم: ﴿ **إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [إبراهيم:٣٩] ـــ يعني عليه السلام إن ربي مجيب لمن يشاء من الأنام ـــ وفي ذلك ما يقول العرب لمن سأل مِنَ الله أو طلب سمع الله دعاءك، أي أجاب الله طلبتك ونداك.

والوجه الثالث: فيقول القائل الواحد من الراكعين المصلين سمع الله لمن حمده، معناه: أي قبل الله ممن حمده، وأثاب على شكره من شكره.

فهذه الثلاثة الوجوه التي يجوز أن يوصف بها الرحمن، وقول فصحاء العرب من عرف اللسان.

والوجه الرابع: فلن يجوز على الواحد الجليل في شيء من الأقاويل، وهو موجود في المخلوقين، فتعالى عنه رب العالمين، وهو الإصغاء بالآذان، والإنصات لجولان دواخل الأصوات، ومستقر لمفهوم المقالات، فتعالى عن ذلك المهيمن الكريم، المتقدس الواحد الفرد العظيم، وكيف يكون سبحانه كذلك أو يجوز المقال فيه بذلك، وقد تسمع قول ذي

الجـــلال والإكـــرام: ﴿ لَيْـــسَ كَمِثْـــلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشـــورى:١١] وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] والكفؤ: فهو المثل والنظير في الصغير كان أو في الكبير.

ولـــو كان ذا جوارح لكان ذا أعضاء، ولو كان ذا أعضاء لكان ذا أجـــزاء وفيه أجزاء، ولو كان ذا أجزاء لكان بلا شك جسماً، ولو كان أجزاء لجرت عليه الحوادث والأزمان، ولأشبه ما خلق من الإنسان، ولو كان كذلك لم يكن خالقاً، ولكان مخلوقاً ، لأن كل جسم لا بد له من جـــاعل مجسم، إذ لا بد لكل مجعول من جاعل، كما لا بد لكل مفعول من فاعل، ولكل مصنوع من صانع، ولكل مقطوع من قاطع، فسبحان من ليس كذلك، ولا على شيء من ذلك، لا تحيط به الظنون، ولا يصفه الواصفون إلا بما وصف به نفسه من قوله سبحانه في آخر سورة الحشر من قوله سبحانه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ..﴾ [الحشر:٢٢] إلى آخر السورة.

باب
الرد على من قال إن الله بصير بعين كأعين العباد

يقال له: معنى بصير يخرج على معنيين بينين عند أهل العلم نيرين.

فأمـــا أحدهما: فهو العالم بالأشياء طراً، من ذلك قول العرب فلان بصير بالفقه والنحو والحساب، بصير بالشعر والكلام في كل الأسباب، يـــريد أنـــه عالم وفي كل أمر قائم، فعلى ذلك يخرج قول الرحمن حين يقـــول: ﴿ **إِنَّ الـــلَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [غافر:٤٤] يريد عالم محيط بكل أمرهم، مطلع على خفي سرّهم.

والمعنى الآخر: فهو النظر بالعين، والنظر والله من ذلك فبريء، وعنه فمتعالى عليّ، إذ ذلك ومن كان كذلك مشابه للمخلوقين، وقد نفى عن نفســـه رب العـــالمين حـــين يقول سبحانه: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾[الشورى:١١] .

ولـــو كان كما يقول من كفر بالله وجحد بآياته، لكان مشبهاً لكل ما يراه ويحيط به من البصر بالأعين من المربوبين، ولو كان كما يقولون لبطل قوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١] ولو بطل من الكتاب شيء يسير، لبطل منه الجليل الكبير، ولو بطل بعضه لأشبه الباطل كله، بـــل هو يؤكد بعضه بعضاً، فلن يبطل منه حرف أبداً، وكيف يبطل أو

يتناقض ما أحكمه ذو الجلال والسلطان، وحفظه من كل سوء الرحمن، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنـــزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤١_٤٢].

ويقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾ [البروج:٢١_٢٢].

فكيـــف يتناقض أو يبطل ما حفظه الواحد الكريم، وحاطه من كل باطل ودنس ذميم، ومنعه وحجره من الشيطان الرجيم، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وجاروا عن قصد السبيل والحق جوراً شديداً .

فهـــذا الحق والصواب وهو قول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وقولـــنا وما إليه يؤول قولنا وأمرنا، وبه يأخذ من أراد الله من جميع أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الواضح المستبين بهدي الله، من أراد الدين من جميع المسلمين، فمن قال بغير هذه المقالة فهو عند الله من الهالكين ولديه من المعذبين.

تأويل قول الله جل جلالة
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم:٤٣]

يقـــول عـــز وجـــل أقم نفسك لربك وخالقك، أقم نفسك للدين بكليتك لمصوّرك وجاعلك.

وقوله: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ [البقرة:١١٢]نفسه ودينه واستسلم له في جميع أموره وأخلص له سبحانه، و لم يرد سبحانه بما ذكر من ذلك الوجـــه دون سائر الأعضاء، الدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَـــةٌ مِـــنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنـــزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران:٧٢] .

لم يرد سبحانه بما ذكر عنهم أن للنهار وجهاً كما يعقل من الوجوه ذوات التصوير التي أمر بغسلها عند الوضوء.

فـــتعالى عن ذلك العلي الأعلى الخبير، وعلى ذلك يخرج قوله ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ البقرة:١١٥] أراد سبحانه الموجود في كل جهة الله تعالى، لا أن له وجهـــاً، فســـبحان الله الخبير عما يصف المبطلون، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

تم الكتاب، والحمدلله رب الأرباب؛؛؛

فهرس الأحاديث

الحـــــــــديث	ص
من كنت مولاه فعلي مولاه.....	٣٨
علي مني بمنـــزلة هارون من موسى.....	٣٩
علي مع الحق والحق معه.....	٣٩
اللهم هؤلاء أهل بيتي	٤٠
كل بني أنثى ينسبون إلى أبيهم	٤٠
حديث المباهلة.....	٤١
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة	٤١
أهل بيتي أفضل الخلق.....	٤٢
مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح.....	٤٢
أهل بيتي أمان لأهل الأرض والنجوم أمان لأهل السماء.....	٤٣
أيها الناس إني سائلكم غداً فمجحف عليكم في المسألة.....	٤٣
ما أحبنا أهل البيت أحد.....	٤٤
ما دخل في دمائنا أهل البيت أحد	٤٩
ما خفقت راية حق علي رأس امرء مسلم.....	٤٩
ما اغبرت قدما رجل في مؤمن في سبيل الله.....	٤٩
إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت الذنوب عنه.....	٤٩
لنومة في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة ستين سنة.....	٤٩
مثل أعمال البر كمثل لجة في بحر.....	٤٩
الإيمان الحب في الله والبغض في الله.....	٦١
حق على العاقل أن يكون بصيراً	٦١
من سلم المسلمون من يده ولسانه.....	٦١
الإيمان على أربع دعائم.....	٦١

فهرس المواضيع

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مقدمة التحقيق	٣	**المخطوطات المعتمدة في التحقيق**	٢٤
التوحيد	٤	نماذج من المخطوطات	٢٥
العدل	٦	طريقة التحقيق	٢٧
الرد على القدرية والمجبرة والمرجئة	٧	**باب التوحيد**	٢٩
الملائكة والرسل وأهل البيت	٨	باب القول في العدل	٣١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٩	تفسير بعض المتشابه	٣٣
الوعد	٩	**باب القول في الوعد**	٣٥
الوعيد والشفاعة	١٠	**باب القول في الوعيد**	٣٥
هذا الكتاب	١٠	**باب القول في فضل النبي (ص،آله)**	٣٧
ترجمة المؤلف	١٢	**باب القول في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام**	٣٧
نسبه	١٢	**باب القول في الإمامة**	٤٢
نشأته ومولده	١٢	**باب القول في الصحابة**	٤٦
ورعه وزهده	١٤	**باب القول في الجهاد**	٤٧
شجاعته وجهاده	١٥	**باب وجوب طاعة أولي الأمر من ولد الرسول**	٥٤
شعره	١٧	**باب النازل**	٥٧
إمامته وصور مشرقة من عدالته	٢١	**باب معاداة الظالمين**	٥٨
مؤلفاته	٢٣	مسائل تتعلق بباب التوحيد	٦٣
وفاته وموضع قبره	٢٣	معنى سميع عليم	٦٣
مصادر ترجمته	٢٤	**باب الرد على من قال إن الله بصير بعين كأعين العباد**	٦٦
		تأويل قول الله :(فأقم وجهك للدين)	٦٨